المقتطف

الجزء الخامس من السنة الثانية والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٨٩٨ — الموافق ١٠ ذي الحجة سنة ١٣١٥

بساتين المدارس

واقتراح على نظارة المعارف

البلاد كالعباد تسعد وتشقى وتغنى وتفتقر. ويُعرَف دخلها وخرجها ونوع المعيشة فيها مما يصدر منها ويرد اليها. واذا نظرنا الى القطر المصري من هذا القبيل رأيناهُ جارياً في سبيل الغنى ورأينا الزراعة مصدر ثروته وطريق المعيشة لسكانهِ وطنيين ومستوطنين فقد صدر منهُ في العام الماضي ما ثمنهُ اثنا عشر مليوناً وثلث مليون من الجنيهات. ومتوسط ما صدر منهُ سنوياً منذ عشر سنوات الى الآن يقدَّر بنحو اثني عشر مليوناً بتقدير الجمارك المصرية فبوفق بثمن هذا الصادر ربا دينهِ وبتاع ما يحتاج اليهِ من الاقمشة والمعادن والفحم الحجري ونحو ذلك مما لا غنى لهُ عنهُ. واذا نظرتَ في جدول الصادرات لترى على ايها الاعتماد الاكبر رأيتها كلها تقريباً من غلة الارض من القطن وبعض الحبوب. ولو امكننا ان نحصي كل ما يجنيهِ سكان هذا القطر بواسطة طرق المعايش المختلفة لوجدنا تسعة اعشار جنامم من الزراعة وما بقي من الصناعة والتجارة فتكاد الزراعة تكون السبيل الوحيد للمعيشة

هذه هي القضيَّة الاولى. والقضيَّة الثانية ان الزراعة تقبل الاصلاح والترقية حتى تضاعف غلة الارض بحسن خدمتها. والادلة على صحة هذه القضيَّة كثيرة جداً اقربها ان غلة القطن تضاعفت في القطر المصري منذ ثمانية اعوام الى الآن مع ان مساحة الارض التي زُرعت قطناً لم تزد الاَّ قليلاً. والارض التي قابَل زارعوها غلتها منذ عشر سنوات بغلتها الآن كاراضي الدومين رأوا ان الغلَّة قد تضاعفت حقيقة فقد كان متوسط غلة الفدان في اراضي الدومين من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٩٠ نحو قنطارين ونصف من القطن ومن سنة ١٨٩١

الى الآن نحو خمسة قناطير . ولم يتضاعف ثمن الغلة كما تضاعف مقدارها لاسباب خارجية لا يمكن دفعها لان ارتفاع الاسعار وهبوطها في هذا العصر لا يتوقفان على غلة قطر صغير مثل القطر المصري بل على غلة الاقطار الوسيعة كاميركا واوربا فاذا كثرت غلة القطن في اميركا والقمح في اوربا هبطت اسعارها حتماً سواء قلّت غلتهما في القطر المصري او كثرت . واذا اعطى القطن الاميركي والقمح الاوربي ارتفعت اسعارها حتماً سواء كثرت غلتهما في مصر او قلّت لانها ليست الاّ جزءاً صغيراً من غلة القطن والقمح في المكورة فلا يعبأ بها كثيراً . ولو لم تتضاعف غلة القطن في القطر المصري لآلت حالهُ الى الافلاس لا محالة

فاذا شاء ابناء هذا القطر ان يطلبوا الثروة من بابها وجب عليهم ان يتعلموا اتقان الزراعة . وقد اعتاد كثيرون من الكتّاب لوم الحكومة والامة على اهمالها ما يستطاع ولا ما لا يستطاع على حدّ سوى فيلومونهما مثلاً لانهما لا تُعمان التعليم في القطر المصري كما يلومونهما لانهما لا تُعمان التطعيم للوقاية من الجدري . اما التطعيم فيسهل تعميمهُ في سنة من الزمان لان الطبيب الواحد يستطيع ان يطعم في يوم خمس مئة طفل اذا وُجد عندهُ اللقاح الكافي . فاذا تنقّل ثلاثون طبيباً في القطر المصري امكنكم ان يطعموا كل طفل فيهِ في سنة من الزمان . ولكن شتان بين التعليم والتطعيم فالمعلم مهما كان حاذقاً في صناعتهِ لا يستطيع ان يعلم اكثر من اربعين ولداً معاً . وفي القطر المصري الآن نحو مليوني ولد في سن التعلّم فيلزم لهم خمسون الف معلم ومعلمة وهؤلاء لا يهبطون من السماء ولا ينبتون من الارض بل لا بدَّ من المواظبة على تعليم الفتيان والفتيات سنين كثيرة وترغيبهم في صناعة التعليم حتى يكون منهم العدد الكافي من المعلمين والمعلمات . وقد لا يتمُّ ذلك في عشرين سنة ولا في ثلاثين فاللوم والتعنيف من هذا القبيل حبر يضيع على الورق وكلام يذهب في الهواء النهيُّ اذا كانت الحكومة والامة جاريتين في هذا السبيل على قدر طاقتهما . وحاشا ان نلومهما الاّ في ما يمكننا ان نقيم الادلة على انهُ تقصير حقيقي . وقد لمنا الحكومة على اغفالها عن انشاء مدرسة زراعية وكررنا اللوم حتى رأينا هذه المدرسة قائمة بقرب العاصمة وشاهدنا تلامذتها يقرنون العلم بالعمل . ونحن نلومها الآن اذا اغضت عن امر تقدّر لهُ نفعاً كبيراً للبلاد كما سيجيء

بلغنا بالامس ان احد اساتذة الطب في مدرسة قصر العيني الطبية اراد ان يسهّل على الطلبة قتل اوقات الفراغ بالالعاب العقلية فارتأى ان يجهّزوا بما يلزم لهم من ادواتها كأنَّ دروسهم الطبية لا تكفي لتشغيل عقولهم فخطر ببالنا تلامذة المدرسة الطبية الاميركية في بيروت وهم ينقّبون في السهول والروابي يجمعون النباتات والحشرات لدرس علمي النبات

والحيوان ويبيّنون المقابر في ظلمة الليل البهيم يتبشون الطرق ويجمعون العظام لدرس علم التشريح وعملهِ ويقضون اوقات الفراغ امام انبيق كيماوي او ميكروسكوب بيولوجي او في مشرحة او صيدليّة. وارتدّ بنا الفكر ثلاثين عاماً الى حادث لا انساهُ مدى الدهر. دخل رئيس المدرسة الكليّة علينا ذات يوم فرأى اربعة منا يلعبون بالورق سيئ اوقات الفراغ فعبس وقال "هذا ما لا انتظرهُ منكم" فرمقنا الورق ورميناهُ من كوة الغرفة الّتي كنا فيها ولم نلعبهُ بعد ذلك كل مدة الطلب

وبينا نحن نفكّر في هذا الامر ورد يريد اميركا فتحنا مجلة العلم العام وفيها مقالة موضوعها بساتين المدارس لاحد افاضل الكتاب فقلنا هذه الغاية الّتي يجب على الحكومة المصرية ان تسعى اليها اذا ارادت تسلية التلامذة وفائدتهم وفي ان تضيف الى كل مدرسة من مدارسها بستاناً صغيراً يدرس فيهِ التلامذة علم النبات ويتمرنون على مبادىء الزراعة. ويتعذّر الحاق هذه البساتين بكل المدارس في اول الامر او بالكثير منها ويتعذّر ايضاً ان يستفيد التلامذة منها الفائدة المطلوبة فيما يكثر عدد الاساتذة الذين يعرفون مبادئ علم الزراعة. ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ. فاكثر محطات سكك الحديد متصل بحدائق غنّاء يزرع فيها كثير من الاشجار والبقول ويعتني نظار المحطات بها اعتناء مشكوراً فعلى مَ لا يشبّه نظار المدارس بهم ويلحقون مدارسهم بالحدائق الغناء حيثما يسهل ذلك ويشوقون في نفوس التلامذة محبة غرس النبات والاعتناء بهِ والبحث عن كيفيّة نموهِ وتحسينهِ ومنع الآفات الّتي تطرأ عليهِ. فاذا ربي الولد صغيراً على محبة الزراعة مال الى البحث في كنهها وجرائدها والتفتيش عن الاساليب الّتي ترقي بها وتحسن

قال الكاتب الذي اشرنا اليهِ آنفاً ان بساتين المدارس العمومية في اوربا يقصد بها في الغالب تعليم التلامذة كيفية قطف الاشجار وتطعيمها وحرث الارض وعزقها وتسميدها وتربية النحل ودود الحرير ونحو ذلك من المطالب الزراعيّة. وقد كان في بلاد النمسا سنة ١٨٩٠ ثمانية آلاف بستان من بساتين المدارس يتعلم فيها التلامذة غرس الاشجار والبقول على انواعها. ويقال في القانون النمسوي الموضوع لترتيب المدارس ما ترجمتهُ "يجب ان يكون في كل مدرسة عموميّة ساحة للالعاب الرياضية وبستان موافق لحال البلد الذي هي فيهِ ومكان للتجارب الزراعيّة. وعلى مفتشي المدارس ان يكونوا واثقين ان المعلمين الذين فيها قادرون على تعليم التلامذة مبادئ الزراعة. ولا بدّ من ان يدرسوا علم النبات والحيوان لكي يسهل عليهم تعليمهم مبادئ الزراعة

وفي فرنسا يُعلَّم علم زراعة البساتين في ثمان وعشرين الف مدرسة من مدارسها الابتدائية وكل مدرسة منها متصلة ببستان وفيها معلم قادر ان يعلم التلامذة مبادىء الزراعة . ولا يعيَّن احدٌ معلماً في المدارس الابتدائية ما لم يكن قادراً على تعليم التلامذة كيفية زرع النباتات التي تزرع في البساتين عادةً والاعتناء بها

وكان في روسيا سنة ١٨٧١ اثنان وعشرون الف ولد يتعلمون زراعة البساتين والحراج وكان فيها حينئذٍ ٢٠١٦ مدرسة وبجانب كل مدرسة منها بستان للزراعة مساحتهُ من فدان الى اثني عشر فداناً . وقد نحت روسيا هذا النحو حديثاً في احدى ولاياتها ٥٠٤ مدارس و٢٢٧ مدرسة منها تتصل كل واحد منها ببستان ومساحة هذه البساتين كلها ٢٨٣ فداناً وقد كان فيها سنة ١٨٩٥ مئتان واحد عشر الف شجرة مثمرة ومئتان وثمانية وثلاثون الفاً وثلاثمئة شجرة من اشجار الحراج التي تزرع لاجل خشبها . ويعلم هذه المدارس يعلمون التلامذة كيفية غرس الكروم والحبوب والخضر والبقول وتربية انحل ودود الحرير . واكثر الكتاتيب في القرى الصغيرة متصل بحدائق صغيرة تزرع فيها البقول والاثمار المختلفة . والحاق المدارس بالبساتين آخذٌ في الشيوع في كل بلاد الروس المتوسطة

وسنة ١٨٩٠ قرأ احد اعضاء الجمعية الزراعية في ولاية مستشوستس باميركا رسالة في تعليم التلامذة زراعة البساتين فنتج عن ذلك ان انشىء بستان صغير بجانب احدى مدارس بوستن وجعلت الجمعية تهب الجوائز للمدارس التي تقتدي بها وتفوق غيرها في انتاج البساتين وكانت السيدة هريت ولكوت رئيسة لجنة التي عينتها الجمعية للنظر في ذلك فقالت " ان الغرض من انشاء هذه البساتين او الحدائق تربية النبات من حين ظهوره من البزر الى ان يزهر ويثمر ومراقبتهُ في كل ادوار نموّه حتى يعتاد التلامذة ذلك ولا يعودوا يحفلون بما يهتمُّ به اكثر اصحاب الحدائق من ترتيب النباتات ذوات الازهار على اشكال هندسية وتصويرية كأنها جنود مصطفة للقتال ولا فائدة عمليَّة منها "

وخافت اللجنة ان تمنح الجوائز لمن عدم احسن الرياحين فيصير التلامذة يتباهون منها من الذين يربونها طمعاً بالجائزة فتفوت الفائدة العمليَّة المقصودة وخافت ايضاً ان تشرك اصحاب حدائق الازهار في هذه الجوائز لميلها الذي ينفق اكثر من غيره على توسيع حديقته وانقانها ولذلك حكمت بانها لا تمنح الجوائز الاولى الاَّ الذين يفوقون غيرهم في تربية النباتات التي من تربيتها اكبر فائدة عملية وعمليَّة كالخضر والقطاني والخضر وما اشبه وانها تمنح الجوائز الثانية للذين يعتنون بتربية النباتات ذوات الازهار البديعة

واول حديقة انشئت لهذه الغاية كانت صغيرة جداً طولها ٧٢ قدماً وعرضها ٤٨ قدماً وهي كل الارض التي امكن زرعها بجانب المدرسة لمخازرة للامتحان . فجعل التلامذة يحرثون الارض في أوقات الفراغ ويزرعونها بما شاءوا من النباتات ويعتنون بخدمتها ويراقبون نموها ومعلمهم يشرح لهم ما يرونهُ ويجعلهم يقابلونهُ بما في كتبهم . فزرعوا القمح والشعير وانواعاً مختلفة من النباتات البرية وذوات الجذور الغليظة والارومات الكبيرة كالباطاطس والبصل وكلفوا يصورونها في درجات نموها وزرعوا كثيراً من السراخس في بقعة واحدة فكان لهم منظر من ابهج المناظر وراقبوا كيفية نموها وتولد البزور على قنا اوراقها من غير ان تزهر . ووقع على الازهار كثير من الحشرات فراقبوها ودرسوا طبائعها . وقد اقتدى غيرهم بهم فانشاوا الحدائق بقرب مدارسهم

ولا تهمل الحديقة وقت فسحة المدرسة بل يُستأجر لها اجير يعتني بها عيناً وآخر اجرتهُ من الجوائز التي ينالها التلامذة

ولا شبهة في ان مراقبة الاحياء كلها منعمة بالفذة والفائدة ولكن مراقبة النبات على انواعهِ واطواره من اللذ ما يشاهدهُ الانسان وافع ما يبحث فيهِ العقل . واذا كانت من وراء ذلك فائدة عملية كما في البلاد الزراعية التي يجب ان ينشأ اولادها على حب الزراعة والاهتمام بترقيتها فالحكمة تقضي بان لا يخفى عنهُ معالمها

وقد قلنا سابقاً ان نظار المحطات يزرعون الحدائق قرب محطاتهم ولا ندري بمن اقتدوا في ذلك ولكن المرغب لهم فيهِ رجل حكيم فاضل ايّاً كان ويستحق ان يقتدي بهِ نظار المدارس كلهم . فجدا لو كانت نظارة المعارف الجليلة تنظر في هذا الامر وتبذل بعض الجهد في حمل نظار المدارس على انشاء الحدائق بجانب مدارسهم . وجدا لو كانت تسعى لدى الحكومة لتعطي كل مدرسة قطعة من الارض تستخدم لزرع النباتات التي تزرع الآن في القطر المصري كالقمح والشعير والفول والذرة والقصب والبصل والثوم والقطاني والبطاطس والفول السوداني والنخل والسنط والتبغ والموز والليمون والنباتات التي يمكن ان تزرع فيهِ وهي لا تزرع او تزرع على قلة كالنيل والبن . ولقترح على احد اساتذة المدرسة الزراعية ليؤلف لها كتاباً بسيطاً في طبائع هذه النباتات وكيفية زرعها والاعتناء بها فيكون مرشداً الاساتذة والتلامذة في كيفية زرع الارض واستغلالها . وبقيننا انها ان فعلت ذلك استفادت البلاد من مدارسها سبع العشرة الاعوام التالية اكثر مما استفادت منها منذ ايام محمد علي باشا الى الآن